هذا رسولنا فلنحبّه ونتّبع سنّته

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 13 ربيع الأول 1434هـ الموافق لـ 25 جانفي 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

هذا رسولنا فلنحبّه ونتّبع سنّته

معاشر الإخوة الكرام،

كلّ واحدٍ في الحياة له قدوةٌ ومثالٌ يحتذي به، وقد يرصد أفعاله وإهتماماته وانشغالاته، وحتّى لبسه وحركاته وطريقة حديثه، فمنهم من يتّخذ ممثِلاً قدوةً في حياته، ولربّما كان ذلك الممثّل زنديقًا فاسقًا فاجرًا، ومنهم من يتّخذ لاعب كرة قدم قدوةً ومثالاً يقتدي به، ومنهنّ من تتّخذ عارضة أزياءٍ فاجرةً قدوةً لها في لباسها وزينتها، وتكون قد خلعت لباس السّتر والحياء.

كلّ هؤلاء اقتدوا برجالٍ ونساءٍ أشبعوا أهواءهم واستزلّهم الشّيطان إلى طريق الغواية، ومنهنّ من قدوتهنّ كاتبةً متحلّلةً كالمستغانمي، أو أديبًا مُلحدًا كطه حسين، أوفيلسوفًا مُلحدًا، أو محاربًا مُلْهِمًا منهاجه ومستمدًّا له من الميكيافيليّة الّتي الغاية فيها تبرّر الوسيلة، فتسلّط على رقاب العباد بالظّلم والطّغيان.

أمّا المسلم فمثاله وقدوته رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في كلّ شؤون الحياة، رسول يتّبع الوحي الرّبّاني المعصوم عن الخطأ واتّباع الهوى ونزغات الشّيطان، فأيّ الفريقين أهدى سبيلاً.

قال تعالى في وصف نبيّه:

" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿4﴾ " سورة النّجم.

النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعطانا المثال السّامي للأب الحنون، والزّوج الرّحيم ، والقائد المحنّك، والصّاحب الرّؤوف بأصحابه، والخصم العادل العفوّ عند المقدرة، والسّياسي الصّادق، والجنديّ الشّجاع الّذي لا يَخْشَ أحدًا إلاّ الله.

قال تعالى في وصف رسوله صلّى الله عليه وسلّم :

" لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿128﴾ " سورة التّوبة.

تعالوا معي نقف على محطّاتٍ من سيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، لندرك من هو قائدنا من هو قدوتنا، من هو قبل ذلك رسولنا ونبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم؟.

1- أمّا حنان الأبوّة والرّحمة بالنّاس، ثبت فيما أخرجه البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال:

(كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن فخذه الأخرى ثمّ يضمّنا، ثمّ يقول:

(اللّهمّ ارحمهما فإنّي أرحمهما).

و لم يكن هذا مع ذوي قرابته فقط بل مع كلّ الأولاد، روى البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أنّه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

(إنّي لأقوم في الصّلاة أريد أن أطوّل فيها، فأسمع بكاء الصّبي، فأتجوّز في صلاتي كراهيّة أن أشقّ على أمّه).

بل إن رحمته تعدّت حتّى المخالفين من المشركين، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

{ قيل: (يا رسول الله، ادع على المشركين)، قال: (إنّي لم أبعث لعّانًا، وإنّما بُعثت رحمةً) }.

2- أمّا سلوكه مع زوجاته فهو القائل: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**).

وتروي عائشة في حسن تعامله معها، قالت:

(كان يكون في خدمة أهله، يُرَقّع ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته، فإذا حضرت الصّلاة انصرف).

وكان صلّى الله عليه وسلّم يدلّل عائشة رضي الله عنها، ويبرز مودّته لها فيناديها يا عائش، ويشرب من حيث شربت من القدح.

وتدعو عائشة رضي الله عنها زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى حريرةٍ، فتأبى زينب أن تأكل معها، فتضع عائشة يدها في الحريرة وتلطّخ وجه زينب، فيأمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم زينب أن تمدّ يدها، فيدخلها في الحريرة ويلطّخ وجه عائشة ويضحك الثّلاثة.

تلك هي مداعبة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لنسائه، ذلك هو ذكاء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في معالجة غَيْرَةِ نسائه، وتلك هي عدالة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع سائر نسائه.

3- وهو القائد المحنّك، ولذلك قَبِلَ صُلح الحديبيّة رغم ما يظهر من شروطها أنّها في مصلحة قريش، لكن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يستشرف خيرًا من ذلك الصّلح للدّعوة الإسلاميّة، حيث أنّ الصّلح فتح له أبواب الدّعوة، لأنّه اشترط أن يحجّ متى أراد من العام القادم، فكان يلقى النّاس من كلّ صَوْبٍ وحدب ويدعوهم إلى الإسلام، ولذلك دخل في الإسلام في سنوات الصّلح أكثر ممّا دخل في سنوات الحرب.

تلك هي حنكة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في تسيير أمور الدّولة والدّعوة إلى الله تعالى، وحَيَّدَ أبا سفيان في فتح مكة.

4- أمّا رسول الله مع أصحابه فقد أعطانا أروع الأمثلة، فقد كان كأحدهم، يأت الرّجل يبحث عن رسول الله فلا يعرفه، لأنّه لم يختصّ بلباسٍ ولا عرشٍ ولا تاجٍ، وكان صلّى الله عليه وسلّم إذا حضرت التّضحيات كان أوّلهم، وإذا جاءت الغنائم شاركوه وأشركهم فيما هو ضروريّ.

يوم الخندق كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحفر مع الصّحابة الخندق فاعترضتهم كدية، فنادوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فضربها فجعلها كثيبًا مهيلاً، فرأى جابر بن عبد الله رضي الله عنه حجرًا معصوبًا على بطن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاستأذن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأذن له بالذّهاب إلى بيته، فقال لزوجته: (لقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حالةٍ لم أصبر عليها، هل لنا طعام؟)، قالت: (خبزًا وعُنَاقًا)، فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره أن له طُعَيِّمٌ فليأتِ هو ورجلين، فسأله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (كم الطّعام؟)، فأخبره، فقال له ضعه على التّنور حتّى آتيك، فنادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المهاجرين والأنصار،

أرأيتم كيف لم يستأثر بالطّعام دون باقي أصحابه؟،

فلمّا وصل راح يقطع الخبز واللّحم حتّى أكل كل الصّحابة وشبعوا، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لزوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (كُلِي وتصدّقي فإنّ القوم قد أصابتهم مجاعةٌ).

5- أثناء علاقته مع خصومه في أحلك الأحوال، فهو التّجاوز وعدم الإنتقام، **روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، حينما دعا أهل الطّائف فأعرضوا عنه وحرّشوا به الصّبيان، حتّى أنّ الله بعث للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مَلَكُ الجبال، فقال للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (يا محمّد!)، فقال: (ذلك ما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟)، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له).**

فهم يؤذونه أشدّ الإذاية، وإذ به يَحْلُمُ عليهم حِلْمًا لا يفعله إلاّ نبيٌّ، فيدعو لذرّيتهم بالهداية.

هذا وهو ضعيف، وحتى حينما انتصر عليهم، قال اذهبوا فأنتم الطّلقاء.

6- أما معاملته مع من يجهل عليه، **روى البخاري عن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه، أنّه قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدةً، حتّى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قد أثّرت به حاشية البرد من شدّة جبذته، ثمّ قال: (يا محمّد، مُرْلِي من مال الله الّذي عندك)، فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعطاءٍ.**

الصّحابة رضوان الله عليهم وقفوا على سيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وارتقوا مستوياتٍ وارتفعوا مقاماتٍ قريبةً من قدوتهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله،

جميلٌ أن تقف على سيرة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، لكنّ أجمل من ذلك أن تقترب من صفاته الّتي كان عليها.

" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿ 21 ﴾

" سورة الأحزاب.

وقد يدّعي كلّ واحدٍ منّا حُبّه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن لا بدّ أن نعلم أنّ دليل المحبّة وبرهان الإجلال والتّقدير هو مدى التزامك بأخلاق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

" قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . . ﴿ 31 ﴾ " سورة آل عمران.

فالمحبّة اتباعٌ وليست عاطفةً جافّةً أو إحساسًا جافًّا، بل هو سلوكاتٌ ومواقفٌ وخطواتٌ موافقةٌ لما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.